الجزء السابع والعشرون — (المجلد الثالث)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة غرة شعبان سنة ١٣١٨ — ٢٣ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٠)

الى القراء الكرام



اشار علينا غير واحد من الفضلاء ان نزيد في اوراق المجلة لنتمكن من تنويع المواضيع ولا سيما الادبيات والتاريخ والفوائد العلمية العصرية ونصدرها في الشهر مرتين كاكثر المجلات في القطر . ومن رأي هؤلاء ان تنويع المباحث وكثرتها اكثر فائدة من قرب الزمن بين عدد وآخر . ويرى آخرون خلاف هذا . فارتأينا ان نوافق اصحاب الرأي الاول مدة الاشهر الثلاثة الباقية من السنة الثالثة على سبيل النموذج فان راق ذلك للاكثرين امضيناه والا رجعنا الى الطور الاول

وعسى ان يتكرم من لم يقدم بدل الاشتراك الى الآن بتقديمه حوالة على البوسطة وان كان فيه شيء من الكلفة فاننا لما نظفر بوكيل امين . ولا يثقل على الانسان الكامل ان يتحمل كلفة ساعة بنفسه او خادمه مكافأة لاخيه على خدمة سنة كاملة ومشاركة له في عمل الامة لابد منه والسلام .

الاسلام واهله

يقظة بعض المسلمين . حال الباقين . تفصيل ما ظهر للمستيقظين . من شقي ومن سعد . الاتباع والابتداع . الفرق بين الماضي والحاضر . آيات تحصيل العلوم . اما اوقع المسلمين في الشقاء رؤساء الدين والدنيا . طريق الخلاص . اتباع سنة الراشدين في الدين وسنة الامم العزيزة في الدنيا . استعداد المسلمين لهذا الاصلاح . الاجتهاد والتقليد . الحاجة الى وضع حدود للاصلاح . من تصدى لذلك . استلفات للعلماء

نحمد الله ان ليل الاسلام قد عسعس ، وصبحه قد تنفس ، وطفق اهله يهبّون من رقادهم ، ويمسحون النوم عن اعينهم ، ولما يستيقظ الا نفر قليل . واما الباقون فمنهم من هو مستغرق في سباته يغط مما ثقل عليه النوم ، وما اطال نومه هذا الا ثقل الاوزار والاوقار التي حملها من البدع والتقاليد ، والاغلال والاعمال التي منعته من العلم الجديد ، ومنهم من وقع عليه الكابوس فمنعه من القيام . فلا هو في يقظة ولا في منام

ما ذا فعل المستيقظون ؟ رأوا الناس في طور جديد ، « فمنهم شقيٌّ وسعيد » ، فالسعيد قد غلب وساد ، وحكم العباد ، واستولى على ثروة البلاد ، واما الشقي فهو الذي رضي وخضع ، وذل وخنع ، وقلّد واتبع ،

رأوا ان هذا الزمن زمن الاجتهاد والاختراع ، والاحكام والابداع ، وتغيير الاوضاع ، الا ما لا يمكن تغييره ، ولا يتأتى تحويله ، من شريعة محكمة توافق كل زمان ، وسنة كونية لا يحكم عليها الأوان ،

رأوا مدنية هذا العصر مخالفة لمدنية العصور الخوالي ، ورأوا انه لا يمكنهم ان يكونوا فيه على عادات اجدادهم الاوالي ، ورأوا ان السيوف الهندية ، والرماح الخطية ، لا تقابل المدفع والبندقية ، والناقلات

الديناميتية ، رأوا ان العزة والقوة بالعلم والمال ، وان العلوم بالاعمال ، لا بالقيل والقال ، وكثرة الجدال ، وانما آية العلوم اللغوية بلاغة القلم واللسان ، والقدرة على ايصال المعانى للاذهان ، والتأثير باصابة مواقع الوجدان ، وآية العلوم الكونية الثروة الواسعة للامة ، والسلطة النافذة للدولة ، فالثروة بالزراعة ، والتجارة والصناعة ، والسلطة بالحكومة الشوروية ، والعدل فى الرعية ، وآية العلوم الدينية ، تطهير العقول من الاعتقاد الباطل ، وتزكية النفوس من الرذائل ، والوقوف على جادة الاعتدال ، فى كل عمل من الاعمال

رأوا كل هذا وما يتبعه ويحتف به ظاهراً بالمشاهدة والعيان ان جميع المنتسبين للاسلام أمسوا وراء الامم كلها ، وعلموا ان هذا التأخر لم يكن ناشئاً عن تقصير الطبقات الدنيا من الامة لانه مما لم يكن فى ايديهم . وانما الشقاء والبلاء كله من قادة العقول والافكار ، والمتصرفين فى النفوس والارواح ، وهم العلماء والمرشدون ، ومن قواد الجيوش والعساكر ، والمتصرفين فى الدفاتر والدواوين ، وهم الملوك والحاكمون ، وعلموا كما يعلم كل من نظر فى هاتين المقدمتين البديهيتين - تأخر الامة الاسلامية وكون السبب فى ذلك الرؤساء - ان صلاح هذه الامة وانتياشها من هذا الشقاء لا يمكن الا بمعرفة الفساد الذى طرأ على اولئك الرؤساء منذ تولدت جراثيم الخلل والضعف فى الامة الى اليوم وتلافى ذلك والتفصى من عقله والانطلاق من قيوده والسير فى طريق جديد يوافق ما عليه سلف الامة ايام الخلفاء الراشدين من حيث الدين وما عليه الامم العزيزة القوية من حيث الدنيا ورمي كل ما عدا هذا وراء الظهر وعدم الالتفات

اليه وان لوّن بلون الدين وأُوهم انه منه وعدم الالتفات الى قائليه ومروّجيه وان كان لهم من الالقاب الضخمة ما يختلب عقول العوام ، ويوهم الغافل ان مخالفتهم جناية على الاسلام

هذه النتيجة موضع اتفاق بين الباحثين فى اصلاح المسلمين ولكنهم فى العلم بها على درجات . وجميع المتعلمين على الطريقة الجديدة والواقفين على احوال البشر مستعدون لموافقتهم فى رأيهم فكلما صدرت من واحد منهم كلمة تنتشر بين هذا الصنف من الناس بسرعة غريبة حتى كأن القائل القاها اليهم بالاسلاك الكهربائية وكأن كل رجل من ناقليها سارية من سوارى السلك البرق . ولا يبالون بانكار الغافلين عن احوال العصر والجاهلين بعلم الاجتماع من اصحاب العمائم اذا انكروها لأنهم يعتقدون انهم ما انكروها الا لانها تمس مراكزهم التي يتبوؤنها باسم الدين او تخفض شيئاً من جاههم العلمي العتيق الذي لا يطابق ما كان عليه الصدر الاول من سلامة الفطرة وسماحة الدين وسهولته ولا ما يقتضيه العصر من تعزيز الاسلام واعلاء كلمته . أرأيت ما قاله احمد بك شوقى شاعر الحضرة الخديوية الفخيمة فى نصيحته لولىّ عهد الحكومة المصرية بالأخذ بالدين

وخذه من الكتاب وما يليه ولا تأخذه من شفتي فقيه

نشر هذا القول فى المؤيد ام الجرائد العربية انتشاراً وطبع فى ديوان « الشوقيات » وترنم به الناس وقبلوه حتى لم نسمع ان احداً انكره لا قولا ولا كتابة مع انه كلام شبيه بالرسمى والمخاطب به من اعظم امرآء الاسلام بل سمعنا من قال ان هذا خير ما قاله شوقى وانفعه

هذا ما عليه السواد الاعظم من متعلمى المسلمين وخواصهم فى

العرب والعجم إما حصولاً وإما قبولا ومن عدام من الخواص كالمتعلمين على الطريقة العتيقة يحتجون عليهم بأن هذا يقتضى فتح باب الاجتهاد وهو مسدود من مئين من السنين ونحو هذا الكلام الذى لا يقبله اولئك لانهم يرونه تقليداً للمقلدين . والمقلد لا يصح تقليده كما ان المجتهد لا يقلد مجتهداً بالاجماع . يقولون : من سد باب الاجتهاد وهل هو مجتهد ام مقلد ؟ فان كان مجتهداً فمن هو ؟ وكيف اجتهد هو ومنع غيره من الاجتهاد ؟ وان كان مقلداً فكيف تعدى على مقام الاجتهاد وتحكم في اهله ؟ وكيف يصح لنا ان نأخذ بقوله هذا وهو مقلد لاقول له ؟ وللآخرين اجوبة سنشرحها في مقالة اخرى ونبين رأينا فيها ونقول الآن بالاجمال لا يريد عاقل من الباحثين في الاصلاح الاسلامي ان يكون التصرف في الدين فوضى يذهب كل واحد الى ما يؤدي اليه [illegible] ان يبقى المسلمون مقيدين بكتب الخلف من الفقهاء وغيرهم لان هذا رضى بما عليه المسلمون لا سعي باصلاح حالهم

لا بد من وضع قواعد وحدود للاصلاح الدينى تتبع عملاً وقد كتبنا شيئاً من هذا في السنة الاولى للمنار وسنعيد الكلام فيه . ونقلنا في الجزء الماضى عن حضرة زميلنا محبوب عالم أفندي ان اخواننا مسلمي الهند سبقونا الى هذا الاصلاح بالعمل ولم نزل نحن في طور الفكر وقد كتب بعض الفضلاء ، منا نبذا متفرقة لم يحرروا بها الموضوع تحريراً . وقد نشرت رفيقتنا « ثمرات الفنون » الست عشرة قواعد لاحد العلماء الافاضل سدد فيها وقارب ولكنه لم يجل الغياية ويبصر الغاية فانبرى له بعض اهل الجمود والجمود يرد عليه ويحتم على المسلمين ان لا يخرجوا ارجلهم من المقاطر التى

وضعها العلماء المتأخرون على ما فيها من الخلاف والنزاع والابهام والايهام والخرافات والضلالات ولقد عجب كل من رأيناه من الفضلاء الذين اطلعوا على الثمرات كيف نشرت هذه الجريدة النافعة هذا الرد المساقط الذى لا نظام له

ونختم القول باستلفات علمائنا الكرام الى العناية بالوقوف على أفكار الامة وامانيها لا سيما المتعلمين والكتاب وان يجعلوا من اوقات فراغهم الطويلة جزءاً للبحث فيما عليه الامة ونسبتها لسائر الامم والمذاكرة فى ذلك ليبصروا مجرى الافكار اين يتوجه فيكونوا على بصيرة من محافظتهم على طريقتهم التى هم عليها او من السعى فى السير على طريقة أخرى تكون انفع لهم وللامة وبالله التوفيق

آثار علمية أدبية

باب تفسير القرآن العزيز

« مسألة زيد وزينب — او ابطال التبنى وتفسير الآيات فى ذلك »

علم القراء مما كتبناه فى وضع الحديث واسبابه ان من الواضعين عن سوء القصد قوماً كانوا يتظاهرون بالصلاح لأجل ان تقبل روايتهم وان منهم من كان يضع لقصد حسن بحسب ما اداه اليه فكره القاصر وعقله الضعيف وان النتيجة من هذا ان قبول الحديث لا يصح ان يكون موقوفاً على قوة سنده وضعفه فقط بل تجب مراعاة امور اخرى كانطباقه على

قواعد الشريعة العامة وعقائد الدين الصحيحة وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . فاذا جاءت الرواية على خلاف ذلك بأن كانت لا تنطبق على ما جاء في القرآن اوما يليق بجلال الله وتنزيهه وحرمة دينه وعصمة انبيائه وكرامتهم وجب رفضها وعدم قبولها سواء اطمن بسندها ام لا .

ومما يدخل في هذا الباب ما رووه في مسألة زيد بن ثابت وطلاقه لزينب (رضي الله عنهما) وان سببه عشق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لها فقد كانت هذه الرواية المشؤمة التي لطخت بها صفحات اكثر التفاسير ولم ينظر في اخلالها بمقام الرسالة وما يليق بتلك الاخلاق التي شهد الله لها بالعظمة – شبهة على الاسلام وجرأة لمن [illegible] على الخوض في النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم [illegible] صحة [illegible] حتى لا تكاد تجد كتاباً من [illegible] في الطعن بدين الاسلام وتنفير اهله منه الا وهذه المسألة تكأتهم العظمى فيه يتزيدونها من التشويه . وقد سأل أحد فضلاء تونس في هذه الايام مولانا حكيم الامة . وخاتمة الائمة . الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عن تفسير الآيات الواردة في هذه المسألة فأجاب حفظه الله تعالى بهذا الجواب . الذي هو لب اللباب . وآية الحكمة وفصل الخطاب . وهو بنصه :

وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولا نزل قبل هذه الآية قوله تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا

قضى الله ورسولهُ امراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسولهُ فقد ضل ضلالاً مبيناً »

نزلت هـذه الآية في زينب بنت جحش وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب وقد خطبها الرسول على مولاه زيد بن حارثة[1] فأبت وابى اخوها عبدالله بن جحش فلما نزلت الآية قالا رضينا يارسول الله فأنكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وازاراً وخمسين مدّاً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر

فنحن نرى من جهة ان زينب كانت بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم ربيت تحت نظره وشملها من عنايته ما يشمل البنت من والدها لاول الامر حتى انه اختارها ولا حرمها منها واباه اخيها وعدّ اباءها هذا عصياناً ولا زالت كذلك حتى نزل في شأنها قرآن فكأنه ارغمها على زواجه لما ألهمه الله من المصلحة لها وللمسلمين في ذلك . ولو كان للجمال سلطان على قلبه صلى الله عليه وسلم لكان اقوى سلطانه عليه جمال البكر في رونقه ونضرة جدته وقد كان يراها ولا يخفى عليه شيء من محاسنها ولكنه لم يرغبها لنفسه ورغبها لمولاه فكيف تمتد نظره اليها ويصيب قلبه سهم حبها بعد ان صارت زوجة لعبد من عبيده انعم عليه بالعتق والحرية .

لم يعرف في مألوف البشر ان تعظم شهوة القريب ولعه بالقريب خصوصاً اذا كان عشيره منذ صغره بل المألوف زهادة الاقرباء بعضهم في بعض من تعوّد بعضهم النظر الى بعض من بداية السن الى ان يبلغ حدّاً منه يجول فيه نظر الشهوة فكيف نظن او نتوهم ان النبيّ الذي يقول الله له

(١) يقال خطب فلانة على فلان اي جعلها خطيبة له

« ولا تمدَّنَّ عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » يخالف مألوف العادة ثم يخالف امر الله في ذلك ؟ ام كيف يخطر بالبال ان من عصم الله قلبه عن كل دنية يغلب عليه سلطان شهوة في بنت عمته بعد ان زوجها بنفسه لعبد من عبيده ؟

ومن جهة اخرى نرى ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو الرؤف الرحيم لم يبال بإباء زينب ورغبتها عن زيد وقد كان لا يخفى عليه ان نفور قلب المرأة من زوجها مما تسوء معه العشرة وتفسد به شؤون المعيشة فما كان له وهو سيد المصلحين ان يرغم امرأة على الاقتران برجل وهي لا ترضاه مع ما في ذلك من الضرر الظاهر بكل من الزوجين لا ريب اننا نجد من ذلك هادياً الى وجه الحق في فهم الآية التي نحن بصدد تفسيرها

ذلك ان التبني [illegible] كان امراً تدين به العرب وتعده [illegible] يرجع اليه في الشرف والنسب . وكانوا يعطون الدعيَّ جميع حقوق الابن ويجرون عليه وله جميع الاحكام التي يعتبرونها للابن حتى في الميراث وحرمة النسب . وهي عقيدة جاهلية رديئة اراد الله محوها بالاسلام حتى لا يعرف من النسب الا الصريح ، ولا يجري من احكامه الا ما له اساس صحيح . لهذا انزل الله « وما جعل أدعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل » ثم قال « ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله » الخ . فهذا هو العدل الالهي ان لا ينال حق الابن الا من يكون ابناً . اما المتبنَّى واللصيق فلا يكون له الا حق المولى والاخ في الدين . فحرم الله على المسلمين ان ينسبوا الدعيَّ لمن تبناه . وحظر عليهم ان يقتطعوا له شيئاً من حقوق الابن لا قليلا ولا

كثيراً وشدد الامر حتى قال « وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيما » فهو يعفو عن اللفظة تصدر من غير قصد بأن يقول الرجل لآخر هذا ابني او ينادي شخص آخر بمثل ذلك لا عن قصد التبني ولكنه لا يعفو عن العمد من ذلك الذي يقصد منه الالصاق بتلك اللحمة كما كان معروفاً من قبل

مضت سنة الله في خلقه ان ما رسخ في النفس بحكم العادة لا يسهل عليها التفصي منه ولا يقدر على ذلك الا من رفعه الله فوق العادات ، واعتقه من رق الشهوات ، وجعل همته فوق المألوفات ، فلا يطبيه الا الحق[1] ولا يحكم عليه ألف[2] ، ولا يغلبه عرف ، ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن يختصه الله بالتأسي به .

لهذا كان الامر اذا نهى الشرع عن مكروه كانت الجاهلية عليه او احل شيئاً كانت الجاهلية تحرمه بادر النبي صلى الله عليه وسلم الى امتثال النهي بالكف عن المنهي عنه والاتيان بضده وسارع الى تنفيذ الامر باتيان المأمور به حتى يكون قدوة حسنة ومثالاً صالحاً تحاكيه النفوس وتحتذيه الهمم وحتى يخف وزر العادة وتخلص العقول من ريب الشبهة .

نادى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بحرمة الربا واول ربا وضعه ربا عمه العباس حتى يرى الناس صنيعه بأقرب الناس اليه واكرمهم عليه فيسهل

(١) اطباه بالتشديد استماله قال ابن دريد :

لا يطبيني طمع مدنس اذا استمال طمع او اطبي

(٢) الألف بالفتح مصدر الف واما الالف بالكسر فهو الآلف اي العشير المؤانس

عليهم ترك ما لهم وتنقطع وساوس الشيطان من صدورهم

على هذا السنن الالهي كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم في امر زينب كبر على العرب ان يفصلوا عن اهلهم من ألصقوه بأنسابهم من ادعيائهم كما دل عليه قوله تعالى « وتخشى الناس » الخ فعمد النبي صلى الله عليه وسلم على سنته الى خرق العادة بنفسه وما كان له ان يكلف أحد الادعياء الاباعد عنه ان يتزوج ثم يأمره بالطلاق ثم يأمر من كان قد تبناه ان يتزوج مطلقته[1] فى ذلك من المشقة مع تحكم العادة وتمكن الاشمئزاز من النفوس ما لا يخفى على احد . فألهمه الله ان يتولى الامر بنفسه فى أحد عتقاه لتسقط العادة بالعمل كما أنهى حكمها بالقول الفصل

لهذا ارغم النبي صلى الله عليه وسلم زينب ان تتزوج زيد وهو مولاه وصفيه والنبي يجد فى نفسه ان هذا الزواج مقدمة لتقرير شرع وتنفيذ حكم الهي . وبعد ان صارت زينب الى زيد لم يلن إباؤها الاول ولم يسلس قيادها بل شمخت بأنفها وذهبت تؤذى زوجها وتفخر عليه بنسبها وبأنها اكرم منه عرقاً واصرح منه حرية لانه لم يجر عليها رق كما جرى عليه فاشتكى منها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة وهو عليه السلام مع علو مقامه يغلبه الحياء فيتئد ويتمكث فى تنفيذ حكم الله ولا يعجل فكان يقول لزيد « أمسك عليك زوجك واتق الله » الى ان غلب أمر الله على امر الأنفة وسمح لزيد بطلاقها بعد ان مضة العيش معها ثم تزوجها بعد ذلك

(١) قوله (ما كان له) اى ليس من شأنه ذلك ولا من مقتضى سنته وحكمته لان هذا تربية والتربية لا تدور الا على قطب الاسوة وفى مسألة الحلق فى الحديبية عبرة ومثل فقد خالفوا الامر بالقول حتى حلق فحلقوا

رسول الله لتمزق حجاب تلك العادة ويكسر ذلك الباب الذى كان مغلقاً دون مخالفتها كما قال « لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا » وأكد ذلك بالتصريح فى نفي الشبهة بقوله : « ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » هذه هى الرواية الصحيحة والقولة الراجحة

ذكر الله نبيه بما وقع منه ليزيده تثبيتاً على الحق وليدفع عنه ما حاك فى صدور ضعاف العقول ومرضى القلوب فقال « واذ تقول للذى أنعم الله عليه » بالاسلام « وانعمت عليه » بالعتق والحرية والاصطفاء بالولاية والمحبة وتزويجه بنت عمتك وبعطفه عندما كان يشكو اليك من ايذاء زوجه « امسك عليك زوجك واتق الله » ولا تعجل بأمرها فان الطلاق يشينها وقد يؤذى قلبها وارع حق الله فى نفسك ايضاً فربما لا تجد بعدها خيراً منها — تقول ذلك وانت تعلم ان الطلاق لا بد منه بما الهمك الله ان تمثل امره بنفسك لتكون اسوة لمن معك ولمن يأتى بعدك وانما غلبك فى ذلك الحياء ، وخشية ان يقولوا تزوج محمد مطلقة متبناه فانت فى هذا « تخفى فى نفسك ما الله مبديه » من الحكم الذى الهمك « وتخشى الناس والله » الذى امرك بذلك كله « احق ان تخشاه » فكان عليك ان تمضى فى الامر من اول وهلة تعجيلا بتنفيذ كلمة وتقرير شرعه : ثم زاده بياناً بقوله « فلما قضى زيد منها وطراً » اى حاجة بالزواج « زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً » لترتفع الوحشة من نفوس المؤمنين ولا يجدوا فى انفسهم حرجاً من ان يتزوجوا

نساء كنّ من قبل زوجات لادعيائهم « وكان امر الله مفعولاً »

واما ما رووه من ان النبي مرّ بيت زيد وهو غائب فرأى زينب فوقع منها فى قلبه شيء فقال : سبحان مقلب القلوب . فسمعت التسبيحة فنقلتها الى زيد فوقع فى قلبه ان يطلقها الخ ماحكوه فقد قال الامام ابو بكر ابن العربى انه لا يصح وان الناقلين له المحتجين به على مزاعمهم فى فهم الآية لم يقدروا مقام النبوة حق قدره ولم تصب عقولهم من معنى العصمة كنهها واطال فى ذلك ولولا خوف التطويل لنقلت كلامه بحروفه

سبحان الله كيف ساغ لقوم مسلمين ان يعتقدوا بمثل هذه الروايات وقد علموا ان الله لم يدع لنبيه ان يُعرض عن ابن ام مكتوم ويتصدّى لصناديد قريش طمعاً فى اسلامهم حتى عاتبه على ذلك فى قوله « عبس وتولى » الخ الآيات [illegible] عن الاعمى الا لاشتغاله بما كان يعدّه فى نفسه خيراً للدين ولم يكن رغبة فى جاه ولا شرهاً الى مال ولا طموحاً الى لذة . فلو صحت الرواية التى زعموها فى شأن زينب لكان العتاب على تلك التسبيحة بمسمع من زينب ثم على الزواج بعد الطلاق كما اشار اليه فى قصة داود عليه السلام . وما كان لمحمد فى علوّ مقامه ورفعة منزلته من النبوة ان تطمح نفسه الى التلذذ ببنت عمته وزوجة مولاه ولا ان يُسمعها ما يدل على شغفه بها ولا ان تضعف عزيمته عن قمع شهوته وكبح جماحها وما كان لرب محمد ان يملك شهوته ويُرقّه من هواه فيما يخالف امره وهو الذى نهاه ان يمدّ عينيه الى ما متع الله به الناس من زهرة الحياة الدنيا ومن زهرتها النساء . تسامى قدر محمد عن ذلك وتعالى شأن ربه عن هذا علوّاً كبيراً

أما والله لولا ما ادخل الضعفاء من مثل هذه الرواية ما خطر ببال مطلع على الآية الكريمة شيء مما يرمون اليه فان نص الآية ظاهر جلي لا يحتمل معناه التأويل ولا يذهب الى النفس منه الا ان العتاب كان على التمهل في الامر والتريث به وان الذي كان يخفيه في نفسه هو ذلك الامر الالهي الصادر اليه بأن يهدم تلك العادة المتأصلة في نفوس العرب وان يتناول المعول لهدمها بنفسه كما قدر له ان يهدم اصنامهم بيده لاول مرة عند فتح مكة وكما هو شأنه في جميع ما نهى عنه من عاداتهم . وهذا الذي كان يخفيه في نفسه كان الله مبديه بامره الذي اوحاه اليه في كتابه وبتزويجه زوجة من كانوا يدعونه ابناً له كما تقدم بيانه . ولم يكن يمنعه عن ابداء ما ابدى الله الا حياءه الكريم وتؤدة الحليم ، مع العلم بأنه سيفعل لا محالة لكن مع مطاوعة الزمان .

أذكر لطيفة لبعض الاذكياء جرت بمحضر مني . وذلك انا كنا نزور احد الاساتذة الاميركانيين في مدينة بيروت فجاء في الحديث ذكر قوله تعالى « الذي احسن كل شيء خلقه » فقال الاستاذ الاميركي : حتى زينب زوجة زيد بن حارثة . يشير بقوله هذا الى تلك الحادثة ويعرض بعشقه صلى الله عليه وسلم لزينب (على ما زعموا) فقال له صاحبي : سبحان الله انكم تشتغلون بعلوم السموات والارض ولا تستعملون عقولكم في اقرب الاشياء اليكم مع انكم في المشهور عنكم من اشد الناس ولعاً بالبحث في الاديان . ان الله امر نبيه ان يتزوج زوجة من دعاه ابناً له ليبين للناس بالفعل انه ليس كل من لقب بالابن يكون على الحقيقة ابناً فان كان المسيح قد دعي في لسان الانجيل بالابن فليس هذا على الحقيقة وانما الابن

الحقيق من ولد من ابيه ولادة صحيحة ، ان فى ذلك لذكرى للعالمين ، والله اعلم .

﴿ نموذج من كتاب اسرار البلاغة ﴾

قلنا ان هــذا الكتاب يعطى صاحبه البلاغة علماً وعملا وانا نذكر مثالا لتأييــد قولنا جزءاً من الفصل الذى وضعه الامام عبد القاهر فى مواقع التمثيل وتأثيره فى النفوس لان التمثيل اعظم اركان البلاغة ولا نكاد نجد فى كتب البيان التى نتداولها شيئاً مما كتب هذا الامام كأن مواقع التمثيل ومواضعــه والبحث فى تأثيره فى النفوس وهزه للوجدان ليس من هذا [illegible] التى لولاه لم يكن للناس من حاجة به . وقد توسعنا فى امثلة ضروب التمثيل فى الهامش زيادة على ما ذكره المصنف لان الامثلة هى امثل طرق التعليم ولا نكاد نجد فى الكتب التى نتداولها الا مثل « مالى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى » فلنعرض عما امات العلم من الكتب ولنرجع الى كتب الائمة الذين قرنوا العلم بالعمل وإمامهم فى فنون البلاغة الشيخ عبد القاهر قال رحمه الله تعالى

فصل

«فى مواقع التمثيل وتأثيره»

واعــلم ان مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء فى اعقاب المعانى او برزت هى باختصار فى معرضه[1] ، ونقلت عن صورها الاصلية الى

---

(١) يقول ان للتمثيل مظهرين . ويجلى للانظار فى ثوبين . أحدهما أن يجيء

صورته كساها ابهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من اقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من اقاصى الافئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفاً ،

فان كان مدحاً كان ابهى وافخم ، وانبل فى النفوس واعظم ، واهزّ للعطف ، واسرع للالف ، واجلب للفرح ، واغلب على الممتدح ، واوجب شفاعة للمادح ، واقضى له بغرّ المواهب والمنائح ، واسير على الالسن واذكر ، واولى بان تعلقه القلوب واجدر ، (١)

المعنى ابتداء فى صورة التمثيل وهو النادر القليل ، ولكنه على قلته فى كلام البلغاء كثير فى القرآن المبين فمنه [illegible] الذى استوقد ناراً » الآية . وقوله بعدها « أو [illegible] « مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما [illegible] وقوله تعالى « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » الآية وقوله تبارك اسمه « انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله » الآية . وغير ذلك . (وثانيهما) ما يتأخر المعانى ويجيء فى اعقابها لايضاحها وتقريرها فى النفوس وايداعها التأثير المخصوص وهو الذى جعله المصنف اولاً ومثاله من القرآن قوله تعالى : « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون » فقد اورده بعد ما قرر امر التوحيد من اول السورة وشنع على الذين اتخذوا من دونه اولياء يقربونهم اليه زلفى ونصب الدلائل على نفى هذا الشرك وذكر الجزاء . ومثاله من الشعر ما يجيء فى ضروب الكلام الآتية

(١) مثاله من القرآن قوله تعالى فى وصف الصحابة « ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع » ومن الشعر قولنا فى المقصورة :

وان كان ذماً كان مسه اوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه اشد ، وحده احد ، (١)

وان كان حجاجاً كان برهانه انور ، وسلطانه اقهر ، وبيانه ابهر (٢)

وان قسا وديده لان وان | يكدر عليه راق ورداً وصفا
لم يخش منه الطيش في شرته | والحلم والاغضاء منه يرتجى
تواضع عن شمم ورفعة | ورقة من غير عجز ووني
الم تر الهواء في رقته | ولطفه لديه شدة القوى
يزاحم النجوم في افلاكها | على وكم يمس بصالح الثرى

والمراد بمزاحمة النجوم المبالغة في الارتفاع . ومنها قول بعضهم :

فتى عيش في معروفه بعد موته | كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(١) مثاله من القرآن قوله تعالى في الذي اوتي الآيات فانسلخ منها « فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » وقوله تعالى « انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهي الى الاذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون » ومن الشعر قوله :

وانكم تبدون للحرب عدة | ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فانتم كمثل النخل يشرع شوكه | ولا يمنع الخراف ما هو حامل

ومنه المثال :

ولو لبس الحمار ثياب خز | لقال الناس يا لك من حمار

(٢) مثاله من القرآن ما تقدم من الآيات في بيان طريق التمثيل ومن الشعر قول ابي العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها | ان السفينة لا تجرى على اليبس

وقول غيره :

ونار لو نفخت بها اضاءت | ولكن انت تنفخ في رماد

ومن الامثال « ان العوان لا تعلم الخمرة » و « كدابغة وقد حلم الأديم » اي افسده الحلم وهو دود صغير

وان كان افتخاراً كان شأوه ابعد ، وشرفه اجد ، ولسانه الد ،(١)
وان كان اعتذاراً كان الى القبول اقرب ، وللقلوب اخلب ، وللسخائم اسل ، ولغرب الغضب افل ، وفي عقد العقود انفث ، وعلى حسن الرجوع ابعث ،(٢)

---

(١) ما يجيء في القرآن من بيان عظمة الله تعالى وكماله لا يسمى افتخاراً ومثال هذا الضرب من الكلام العزيز وان اختلفت التسمية قوله « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » ومثاله من الشعر قول عبد المطلب :

لا يترك الجهد الا في متركبا ... كالبوم ليس له مأوى سوى المقل

(٢) الاعتذار لا يوجد في القرآن [illegible] عن اصحاب المعاذير الكاذبة لكون الاعتذار حجة عليهم فهو اعتذار في الظاهر واحتجاج في المعنى واورد ما ذكر في الاحتجاج دون [illegible] في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر [illegible] واما امثلته في الشعر فكثيرة منها :

لا تحسبوا ان رقصي بينكم طرب ... فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

ومنها في الاعتذار عن صدود الحبيب :

بأبي حبيباً زارني في غفلة ... فبدا الوشاة له فولى معرضاً
فكأنني وكأنه وكأنهم ... امل ونيل حال بينهما القضا

ومن الاعتذار بذكر التخييل ما وقع لابي تمام في قصيدة يمدح بها احمد ابن المعتصم قيل انه كان ينشده اياها فبلغ قوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم احنف في ذكاء اياس

فلامه بعض الناس قائلاً قد شبهت ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم باجلاف العرب (او ما هذا معناه) فاطرق هنية وقال ولم يكونا من القصيدة :

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

ومما يصلح للاعتذار من الامثال قولهم « كل امرىء في بيته صبي » يعتذر به عن الدعابة والاسترسال في المباسطة في الخلوة . وقولهم « لو ترك القطا ليلاً لنام »

وان كان وعظاً كان اشفى للصدر ، وادعى الى الفكر ، وابلغ فى التنبيه والزجر ، واجدر بأن يجلى الغيابة ، ويبصّر الغاية ، ويبرىء العليل ، ويشفى الغليل ، (١)

وهكذا الحكم اذا استقريت فنون القول وضروبه ، وتتبعت ابوابه وشعوبه ، (٢) وان اردت ان تعرف ذلك وان كان تقل الحاجة فيه الى التعريف ،

(١) مثاله من القرآن الكريم قوله تعالى فى وصف نعم الدنيا «كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً» الكفار الزراع لانهم يكفرون الحب اى يسترونه بالتراب وقوله تعالى «الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً الوانه» الآية وقوله تعالى «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا» وقوله عز وجل «لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» وقوله سبحانه «فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة» وقوله «مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة» وقوله فى الآية الأخرى «كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل» وقوله فى تمثيل من يحبط عمله الصالح بالايذاء او الرياء «أيود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت» وفي معناه قوله تعالى «مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد»

ومن الأمثال حديث «ان المنبتّ لا ارضاً قطع ولا ظهراً ابقى» وحديث «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» . ومن الشعر قول ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وقول غيره

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب مريض

(٢) يشير المصنف الى سائر مناحي الكلام كالغزل والرثاء والوصف والشكوى وهي

ويستغني في الوقوف عليه عن التوقيف ، فانظر الى نحو قول البحتري :

دانٍ على ايدي العفاة وشاسع ... عن كل ندفي الندى وضريب

مع الذي ذكروشائج متشابكة وامشاج ممازجة . واما الوصف فهو الطويل الذيل، المتدفق السيل . ومن امثلته في القرآن قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين » ومنه قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعي ماءكِ ويا سماء أقلعي » الآية ومن ذلك الرؤى فانها تخيل للواقع الذي تعبر به كالرؤى المذكورة في سورة يوسف عليه السلام . ومنها قوله تعالى « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها » وقوله بعدها « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار » وهكذا الحق يثبت والباطل يزهق .

ومثاله من الشعر قول ابن النبيه :

والليل تجري الدراري في مجرته ... كالروض تطفو على نهر ازاهره

وقول بعضهم [illegible] هنا من تعدد التشبيه)

وكأنها وكأن [illegible] على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها ... بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وفي وصف الأمير والجيش :

يهز الجيش حولك جانبيه ... كما نفضت جناحيها العقاب

ومنه قولنا في المقصورة في وصف الوفاق :

لم نختلف في مبتدا مسألة ... الا وكان للوفاق المنتهى

كن على المحيط من دائرة ... آتي تفارقا فبعدُ ملتقى

ومنها في وصف روضة :

والشمس تبدو من خلال دوحها ... آونة تخفى وطوراً تنجلي

كغادة وضاحة قد أطلعت ... من خلال السجوف رنو والكوى

تلق على الروض نثير عسجد ... فتحسب الروض عروساً تجتلى

ومنها :

والباسقات رفعت اكفها ... تستنزل الغيث وتطلب الندى

ثبت في العلوم الطبيعية ان الاشجار تكون سبباً لنزول المطر فتلك هنا مجال

كالبدر افرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جد قريب[1]

وفكر في حالك وحال المعنى معك وانت في البيت الاول لم تنته الى الثاني ولم تتدبر نصرته إياه ، وتمثيله له فيما يملي على الانسان عيناه ، ويؤدي اليه ناظراه ، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ، فانك تعلم بُعد مابين حالتيك ، وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك ، وتحببه اليك ، ونبله في نفسك ، وتوفيره لأنسك ، وتحكم لي بالصدق فيما قلت ، والحق فيما ادعيت ،[2]

وكذلك فتعهد الفرق بين ان تقول : فلان يكدّ نفسه في قراءة

المشتقين بجاب دماؤهم

وقول ابن دريد في وصف النوق :



يرمين في [illegible] الآل طفا

ومن احسن ما [illegible]

وقد كنت اعلو حبّ ليلى فلم يزل بي النقض والابرام حتى علانيا

وقوله :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية او يراح

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

وقول بعضهم :

وبلاء ان نظرت وان هي اعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

وقول الآخر :

أني واياك كالصادي رأى نهلاً ودونه هوّة يخشى بها التلفا

رأى بعينيه ماءً عز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا

ومن الامثال التي تدخل من باب الشكوى « ليس لها راع ولكن حلبة » حلبة بالتحريك جمع حالب والمثل يضرب للامة المظلومة . و « لو كويت على داء لم أكره » يضرب لمن يعاقب على غير ذنب . و « سال بهم السيل وجاش بنا البحر »

(١) اي بالغ الغاية في القرب (٢) مثال المدح ويتلوه مثال الذم

الكتب ولا يفهم منها شيئاً وتسكت . وبين ان تتلو الآية[1] وتنشد قول الشاعر :

زوامل للأشعار لاعلم عندهم بجيدها الا كعلم الأباعر
لعمرك مايدرى البعير اذا غدا بأوساقه او راح ما فى الغرائر

والفصل بين ان تقول « ارى قوماً لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك مخبر ، بل فى الاخلاق دقة ، وفى الكرم ضعف وقلة ، » وتقطع الكلام . وبين ان تتبعه نحو قول الحكيم : « اما البيت فحسن واما الساكن فردىء » وقول ابن لنكك :

فى شجر السرو منهم مثل [illegible] رواء وما له ثمر

وقول ابن الرومى :

فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الاثمار كل الاباء

وقول الآخر :

فان طرّة راقتك فانظر فربما أمرّ مذاق العود والعود اخضر

وانظر الى المعنى فى الحالة الثانية كيف يورق شجره ويثمر ، ويفتر ثغره ويبسم ، وكيف تشتار الأرىَ من مذاقته ،[2] كما ترى الحسن فى شارته وانشد قول ابن لنكك :

اذا اخو الحسن اضحى فعله سمجاً رأيت صورته من اقبح الصور

وتبين المعنى واعرف مقداره ثم انشد البيت بعده :

وهبك كالشمس فى حسن الم ترنا نفرّ منها اذا مالت الى الضرر

(١) يريد قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا» (٢) الاري العسل واشتياره اجتناؤه

وانظر كيف يزيد شرفه عندك . وهكذا فتأمل بيت ابى تمام :[1]

واذا اراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعاً عن البيت الذى يليه ، والتمثيل الذى يؤديه ، واستقص فى تعرّف قيمته على وضوح معناه ، وحسن مزيته[2] ثم اتبعه إياه :

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشرَ المعنى تمام حلته ، واظهر المكنون من حسنه وزينته ، وعطّرك بعرف عوده ، وأراك النضرة فى عوده ، وطلع عليك من مطلع سعوده ، واستكمل فضله فى النفس ونُبله ، واستحق التقديم كله ، الا بالبيت الاخير ، ومافيه من التمثيل والتصوير .



وكذلك ترى فى بيت المتنبى :

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا

لو كان سلك بالمعنى الظاهر من العبارة كقولك : ان الجاهل الفاسد الطبع يتصور المعنى بغير صورته ويخيل اليه فى الصواب انه خطأ . هل كنت تجد هذه الروعة ؟ وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقذه[3] وقمعه وردعه والتهجين له والكشف عن نقصه ما بلغ التمثيل فى البيت وينتهي الى حيث انتهى

[4] وان اردت اعتبار ذلك فى الفن الذى هو اكرم واشرف فقابل بين ان تقول . ان الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره .

(١) شروع فى مثال الحجاج (٢) وفى نسخة بزته (٣) وقم الرجل قهره واذله ورده عن حاجته اقبح الرد . والوقذ الضرب ويسند للكلام تجوزاً (٤) شروع فى امثلة الوعظ ولم يمثل للافتخار والاعتذار

وتقتصر عليه وبين ان تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذى يضيء للناس ويحرق نفسه » ويروى « مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها » . وكذا فوازن بين قولك للرجل وانت تعظه « إنك لا تجزى على السيئة حسنة فلا تغرّنّ نفسك » وتمسك . وبين ان تقول في اثره « إنك لا تجنى من الشوك العنب وانما تحصد ما تزرع » واشباه ذلك . وكذا بين ان تقول : لا تكلم الجاهل بما لا يعرفه ونحوه . وبين ان تقول « لا تنثر الدرّ قدّام الخنازير . او لا تجعل الدر في افواه الكلاب » وتنشد نحو قول الشافعي رحمه الله : وأنثر دراً بين سارحة النعم : وكذا بين ان تقول : الدنيا لا تدوم ولا تبقى . وبين ان تقول نحو ذلك . عارية تسترد ، ووديعة تسترجع » وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم « من في الدنيا ضيف وما في يديه عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة » وتنشد قول لبيد :

وما المال والأهلون الا ودائع ولا بدّ يوماً ان ترد الودائع

وقول الآخر :

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار

الشعر العصرى

من نظم نابغة العصر . في النظم والنثر . حافظ أفندي ابراهيم في المقابلة بين (دولة السيف والرمح ودولة المدفع)

يا دولة القواضب الصقال وصولة الذوابل الطوال

كم شدت بين الاعصر الخوالى ممالكاً عزيزة المنال

وتقتصر عليه وبين ان تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذى يضيء للناس ويحرق نفسه » ويروى « مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها » . وكذا فوازن بين قولك للرجل وانت تعظه « إنك لا تجزى على السيئة حسنة فلا تغرّنّ نفسك » ونمّك . وبين ان تقول في اثره « إنك لا تجنى من الشوك العنب وانما تحصد ما تزرع » واشباه ذلك . وكذا بين ان تقول : لا تكلم الجاهل بما لا يعرفه ونحوه . وبين ان تقول « لا تنثر الدرّ قدّام الخنازير . او لا تجعل الدر في افواه الكلاب » وتنشد نحو قول الشافعي رحمه الله : « وأنثر دراً بين سارحة النعم » . وكذا بين ان تقول : الدنيا لا تدوم ولا تبقى . وبين ان تقول « هي ظل زائل . وعارية تسترد ، ووديعة تسترجع » وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم « من في الدنيا ضيف وما في يديه عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة » وتنشد قول لبيد :

وما المال والأهلون الا ودائع ولا بدّ يوماً ان تردّ الودائع

وقول الآخر :

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار

⟡

الشعر العصري

من نظم نابغة العصر . في النظم والنثر . حافظ أفندي ابراهيم في المقابلة بين (دولة السيف والرمح ودولة المدفع)

يا دولة القواضب الصقال وصولة الذوابل الطوال
كم شدت بين الاعصر الخوالى ممالكاً عزيزة المنال

قامت بمجد الابيض القصال | وسن ذاك الاحمر العسال
راحت بها الأيام والليالى | واصبحت كالبردى البالى
وخلفتها دولة الجلال | مملكة المدفع ذات الخال
قامت بحول النار والزلزال | فارهبت اشدة الابطال
ارهبها مزعزع الجبال | ومفزع الليوث في الدحال
وقاطع الآجال والآمال | وخاطف الارواح من اميال
يثور كالبركان في النزال | فيتبع الاهول بالاهوال
ويرسل النار على التوالى | ويبعث الحديد للصلصال
فيحطم الهام ولا يبالى | كالكوكب الرجم هوى من عال
فر كالفكر يسرى بالبال | على عتيد مارد مختال
مسترق [illegible] في [illegible] | من [illegible] التسبيح والاهلال
امضى وانكى منه في القتال | [illegible] سرت قنبلة الوبال
من فمه الحشو بالنكال | يندرهم في ساحة المجال
بالرعد والبرق وبالآجال | ولم يكن كذلك الخال
يحز في الهام وفي الاوصال | صامت قول ناطق الفعال
رأيته كالقوم في الشمال | مالوا عن القول الى الاعمال

فامتلكوا ناصية المعالى

وله هذه المقاطيع تعريباً بلا تصرف عن جان جاك روسو

يا ايها الحب امتزج بالحشى | فان في الحب حياة النفوس
واسلل حياة من يمين الردى | اوشك يدعوها ظلام الرموس

خلقت لى نفساً فارصدتها | للحزن والبلوى وهذا الشقاء

قامت بمجد الابيض القصال	وسن ذاك الاسمر العسال
راحت بها الأيام والليالى	واصبحت كالبردي البالى
وخلفتها دولة الجلال	مملكة المدفع ذات الخال
قامت بحول النار والزلزال	فارهبت اشدة الابطال
ارهبها مزعزع الجبال	ومفزع الليوث فى الدحال
وقاطع الآجال والآمال	وخاطف الارواح من اميال
يثور كالبركان فى النزال	فيتبع الاهول بالاهوال
ويرسل النار على التوالى	ويبعث الحديد للصلصال
فيحطم الهام ولا يبالى	كالكوكب الرجم هوى من عال
فر كالفكر سرى بالبال	على عتيد مارد محتال
مسترق السمع فى [illegible]	من عالم التسبيح والاهلال
امضى وانكى منه فى القتال	اذا سرت قنبلة الوبال
من فمه المحشو بالنكال	يتدرهم فى ساحة المجال
بالرعد والبرق وبالآجال	ولم يكن كذلك الختال
يحز فى الهام وفى الاوصال	صامت قول ناطق الفعال
رأيته كالقوم فى المثال	مالوا عن القول الى الاعمال

فامتلكوا ناصية المعالى

وله هذه المقاطيع تعريباً بلا تصرف عن جان جاك روسو

يأيها الحب امتزج بالحشى	فان فى الحب حياة النفوس
واسأل حياة من يمين الردى	اوشك يدعوها ظلام الرموس

خلقت لى نفساً فارصدتها	للحزن والبلوى وهذا الشقاء

فامنن بنفس لم يشبها الأسى | املها تعرف طعم الهناء
تمثلي ان شئت في منظر | ياجوليا انكر فيه الغرام
او فابعثي قلباً الى اضلع | راح به الوجد واودى السقام
غضي جفون السحر او فارحمي | متيماً يخشى نزال الجنون
ولا تصولي بالقوام الذي | تميس فيه يا مناي المنون
انى لأدري منك معنى الهوى | ياجوليا والناس لا يعرفون

باب التربية والتعليم

« الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر »

(٢١) من هيلانة الى اراسم في لندن [illegible] ١٨٥١

كتبت للحكومة ثلاث مرات استطلعها شيئاً من اخبارك فصدر في كل واحدة منها امر رسمي باجابتي انك بخير وذلك تهكم وسخرية .

أنا لا اطيق هذا السكوت الذي طال امده بيننا ثمانية عشر شهراً فانه قد امضني واحرج صدري ولكني اراني قد اهتديت الى حيلة لايصال مكاتيبي اليك ستري حتماً ما يكون من نجاحها وسواء علىّ افلحت فيها ام لم افلح فاني لن آلو جهداً في ملازمة جدران سجنك ومحاصرتها على النحو الذي اعرفه .

انقضت كل هذه المدة ولا سلوان لي عن همي الا في « اميل » .

أوّه اني لأبذل انفس ما عندي لمن يأتيني بك الساعة لتراه يغدو ويروح في البستان مكشوف الساقين الى نصفهما عاري الذراعين مرسل الشعر

فامنن بنفس لم يشبها الأسى — لعلها تعرف طعم الهناء
تمثلي ان شئت في منظر — ياجوليا انكر فيه الغرام
او فابعثي قلباً الى اضلع — راح به الوجد واودى السقام
غضي جفون السحر او فارحمي — متيماً يخشى نزال الجنون
ولا تصولي بالقوام الذي — تميس فيه يا مناي المنون
اني لأدري منك معنى الهوى — ياجوليا والناس لا يعرفون

باب التربية والتعليم

﴿ الباب الثاني (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(٢١) من [illegible] ١٨٥١

كتبت للحكومة ثلاث مرات استطلعها شيئاً من اخبارك فصدر في كل واحدة منها امر رسمي باجابتي انك بخير وذلك تهكم وسخرية .

أنا لا اطيق هذا السكوت الذي طال امده بيننا ثمانية عشر شهراً فانه قد امضني واحرج صدري ولكني اراني قد اهتديت الى حيلة لايصال مكاتبي اليك سترى حتماً ما يكون من نجاحها وسواء عليّ افلحت فيها ام لم افلح فاني لن آلو جهداً في ملازمة جدران سجنك ومحاصرتها على النحو الذي اعرفه .

انقضت كل هذه المدة ولا سلوان لي عن همي الا في « اميل » .

أوّه اني لأبذل انفس ما عندي لمن يأتيني بك الساعة لتراه يغدو ويروح في البستان مكشوف الساقين الى نصفها عاري الذراعين مرسل الشعر

فان شهر دسمبر هنا كما اخبرتك فيما سبق غاية فى اعتدال الاقليم ويقول صديقك الدكتور ان شدّ اعضاء الاطفال وتقويتها بتعريضها لهواء الجو يعود بالفائدة عليهم فى ابدانهم . ثم اعلم ان «اميل» غلام متعب فانه كلف بلمس كل شىء يقع بصره عليه فهل ينبغي منعه من ذلك ؛ وليتك ترى ما يحدثه كل يوم فى البستان من ضروب الائتلاف التى كان فويدون فى بداية الامر يتوجع منها ويشكو . فلما اعيته الحيل انتهى بالضحك عجزاً ويأساً . ذلك لان ولدك له فى الاشتغال طرق شتى هو مخصوص بها فهو يقلب الارض بمقلب صغير من الخشب ويغرس الاشجار (أستغفر الله) بل اغصانها ايضاً ولعلك تقول انه يبنى له قصوراً فى اسبانيا[1] كلا وانما هو يقيم بالحصى منارات وكوفاً [illegible] ويلهيني منه انه يسمى تلك الألاعيب عملاً [illegible] الاطفال مجبولون على تعظيم اعمالهم في انفسهم وتقديرها باكثر من قيمتها . على ان ما يصدر عن سذاجتهم وسلامة طباعهم من انواع هذا التقدير ليس بجملته باطلا بطلاناً تاماً فان ثمرة البلوط مثلا اذا سقطت على الارض من يد صبي صغير لم يحسن القبض عليها لا ينافى ذلك ان تصير يوماً ما شجرة عظيمة (فكيف اذا هو غرسها فى الارض) اه .

(٢٢) من هيلانه الى اراسم فى ١٢ يناير سنة — ١٨٥

قد اتخذ «اميل» له خليلة ولهذه المناسبة ينبغي ان اقص عليك حادثة وقعت عندنا فارتعنا جميعاً بسببها ارتياعاً عظيما . . ذلك ان فويدون لما كان قليل الثقة بشرطة الحكومات المتمدنة فى حفظ الانفس والاموال

(١) مثل يضربه الفرنساويون لمن يتشبث بالامانى الوهمية ويغتر بالخيالات الكاذبة

لما هو لاصق بذهنه من افكار متوحشى افريقيا قد عثر من حيث لا ادرى على كلبة ضخمة طويلة الا انها من اشد انواع الكلاب توحشاً فسميناها « الدبة » وهو اسم ينطبق عليها كمال الانطباق فى شعرها الاسود وقوتها العظيمة وغرائزها العدائية وقد وضعت منذ شهرين خمسة جرآء تماثلها إلا أنها من حين ولادتها بدت عليها سمات الدمامة والبشاعة فأسكناها فى بيت الدجاج وكان من ورآء وضعها ان زاد توحشها الفطري بسبب حنوها الأمي كما يحصل ذلك غالباً من الحيوانات الضارية فقد تخيلت أن تخفي جرآءها فى سقيفة كانت تحرس مداخلها وتمنعها بنفسها لظنها بلا ريب انا تأخذها منها وقد كنت امرت بأن لا يدخل « اميل » بيت الدجاج بعد سكناها فيه لاني كنت اخشى عليه مقابلة هذا الحارس الجهنمي ولكن كيف السبيل الى ذلك وهو معروف بتجاوز التمادي فى مشيته يتسلل ويتدخل فى كل مكان . ففى عصر ذات يوم افتقدناه فى البيت والبستان فلم نجده فأرسلت قوبيدون فى طلبه ثم رأينا بيت الدجاج مفتوحاً فلم يبق فى نفوسنا ريب فى انه دخله ولكن ضاع بحثنا فيه سدى فأوّل خاطر مرّ بفكر الزنجي هو ان الكلبة افترسته وهو خاطر فيه ريح التوحش حقاً .

لم تكن دهشة قوبيدون بأقل من ذعره اذ دخل السقيفة مخاطراً بنفسه فرأى « اميل » وقد رقد على الدّبة واخذ بأذنيها الطويلتين المتدليتين يجذبهما اليه . واكثر من هذا خروجا عن مألوف العادة وابعد منه عن معهودها ان ذلك الحيوان كان يتسامح له فيما كان يفعله به ويحتمل منه لجاجته فى محكم بشهامة وعلو نفس لايتصف بها الا الآخذون بطريقة

زينون[1] فلم يلبث فوبيدون ان فهم وهو مندهش ان الكلبة قد اتخذت «اميل» خليلا واكرمت وفادته فقبلته بين اولادها لكنها لم تمنح الزنجي شيئاً من هذه المراعاة لأنها لما رأته انشأت تهر وتكشر عن انيابها زجراً له فرأى من الحزم الفرار من امامها فخرج داعياً «اميل» الى اللحاق به فتبعه جذلا مبتهجاً غافلا عما كان قد اقتحمه من الخطر. من هذا الحين انعقد التعارف بين «اميل» وبين الدبة وكأنها توهمته جرواً صغيراً لم تحسن امه لحسه فكانت من أجل ذلك تعتبره ممن تجب لهم حمايتها وتلحس ماانكشف من اعضائه بلسانها المريض وعلى كل حال قد ظهر لى انها حميدة المقاصد فلم يبق لى من موجب الخوف منها على ولدى.

لم يقتصر «اميل» على مصادقة الدبة بل ان له اصدقاء غيرها بجميع سكان بيت الدجاج معارفه ومن العجب ان [illegible] غاية الائتلاف والوئام ولست اخفى عنك انى مهتمة بهذا العالم البيتى الصغير ومشتغله بشأنه كل الاشتغال.

يوجد على القرب من بستاننا بركة فيها وشل (ماء قليل) يزداد بما ينصب فيها من ماء المطر المتحلب من سعاوح المنازل فخطر ببالنا ان نضع فيها بطا وتعهد بذلك فوبيدون فاشترى ثلاث بطات من كفر مجاور لنا واصبحنا نتسلى برؤية ريشها الاخضر الجميل المثل لفلذ المعادن ونبتهج بما تبديه لنا من ضروب المرح واللعب فى الماء وبما تسمعنا من البطبطة

(١) هو المسمى بزينون السيتيومى نسبة الى سيتيوم مدينة فى جزيرة قبرس ولد فى سنة ٣٣٨ ومات فى سنة ٢٦٠ قبل المسيح وهو صاحب مذهب مخصوص فى الفلسفة اساسه الصبر على المكاره

وتربنا من الائتلاف الصحيح الذى جمعنا وشائجه ولكن الزنجى لم يلبث ان لاحظ عدم التناسب والتلائم فى تألف هذه الجماعة فانه وجد فيها ذكرين لانثى واحدة مع ان البط على مايظهر يميل الى تعدد الزوجات على نحو ماعليه الترك بتزوج السلطان الواحد كثيراً من النساء فمن اجل مداواة هذه العلة التى جزم قويدون بمخالفتها لمقتضى الفطرة (١) قد اشترى زوجا آخر من هذا النوع بعد ان تأكد هذه الدفعة من انوثته ونحراها كما ينبغى وبذلك اصلح الخطأ الاول بعض الاصلاح وبقى امر ما كان يخطر لنا على بال قبل شراء هذا الزوج فانعكس فيه تقديرنا وخاب حسباننا وهو استقبال البطات القديمة لهذا الزوج فانها بمجرد ان رأته وقت ظهورها مصرة على مجانبته وكما حاول القرب منها نبهته وزجرته فاردنا التوسط فى الصلح بين الفريقين فلم نجد لذلك [illegible] حتى عقدت الثلاث القديمات مجلساً للشورى بينها بمعزل عن الحديثين واثنان يبطبطن طويلا ولم اعرف مادار بينهن من التداول والتشاور بنصه لعدم معرفتى لسانهن ولكن معناه كان ظاهراً فكأنهن كن يقلن « انا قد سكنا هذا المكان قبلهما ولنا الحق من اجل ذلك ان نعتبرهما دخيلتين فاجدر بنا ان نشوى على السفود شيأ او ان نجهز بالاقت طعاماً للآكلين من ان نقبلهما فى جماعتنا فنحن بط واما هما فليستا الا من السقط »

لما لاحظ قويدون ان احد افراد هذه الجماعة وهو ذكر ابيض ذو

---

(١) يدل هذا القول على جهل الاوربيين بحال المسلمين وقول قويدون ان التعدد مخالف للفطرة انما سرى اليه من سيدته وامثالها فغفل عن الفطرة فى قومه وفى البط وانما هى فطرة اراد الانسان المدنى تهذيبها

فنزعة طويلة كان اشدها لجاجة فى النفور سمم على ذبحه على نصب الوفاق فداء للاتحاد والتآلف فلما فعل انتج هذا القربان مع اسفى عليه اثره المطلوب فاخذ كل فريق يتدرج فى التقرب من الآخر حتى انتهيا بان صارا جماعة واحدة وان كانت البلة القديمة هى السلطانة الحقيقية . فما رأيك فى ذلك الشمم والترفع فى هذا الجنس الحيوانى أترى ان الميل للسؤدد والشرف هو الاصل الثابت فى الفطرة وان المساواة بالمعنى الذى نفهمه منها امر عارض علينا اكتسبه الانسان بالعدل

لو شئت لقصصت عليك أيضاً وقائع كثيرة فى عوائد الحمام واخلاقه هى بالنسبة الىّ جديدة . فقد تعرفت الى الشرق فى معيشته فى وجدنا ان اموره لا تجرى تماماً على ما تنصه الكتب من جعله فى الجملة مثالاً للصداقة والوفاء بعقد الزوجية لانى رأيت اذ كان فتياً متزوجاً بحمامة فتية كان حظه معها حظ اولئك الشيوخ الضعاف الذين تمثل الروايات الهزلية خضوعهم وتسليمهم قيادهم لمن يخالطونهم . فتركته فى يوم من الايام واستبدلت به ذكراً فتياً متصلفاً استمالها منه بلا ريب ورقيق كلامه وجميل تحيته وسلامه وكأنى بك تقول أى الزوجين كان مخطئاً الزوجة لانها طائشة وسريعة التحول والانقلاب أم الزوج لانه اقلقها ولم يراعها كما ينبغى فاجيبك انه ينبغى الحذر من المجازفة فى الاحكام على غير علم ومن اجل ذلك فانا قبل كل شىء امسك عن الحكم واقول ان الزوج الخون على كل حال قد تلقى سقوط حرمته بلا نفس يدل على الشجاعة الحقيقية فكان اذا اتفقت مقابلته لزوجته الخائنة فى طريق يمر بجوارها بدون ان يظهر عليه انه رآها وان يبدى أقل امارة على حنقه عليها الا انه لم يكن البتة على هذا التسامح مع من اغتصبها

منه لانهما عندما كانا يتقابلان كانا يتبادلان النقر الاليم الوقع كما كان منيلاس وباريس يتبادلان الطعن والضرب فى حومة الوغى [١] ولما قضت الحمامة المطلقة زمن العشق وحان وقت الحضانة على البيض لم تحسنها لانها ورفيقها كانا من فرط اشتغالها بدواعى الحب بحيث لم يكن ليتيسر لهما ان يكثرا من التفكر فى فروض البيت ولم تعزب هذه الحالة عن ذهن الزوج المهجور فاننا رأيناه ذات يوم يخرجهما من احدى المحاضن حيث كانا مشتغلين بتربية افراخهما وهما والحق يقال ما كانا يأبهان بها على وجهها وكأنه كان يقول لهما وقت اخراجهما « أُفًّا عليكما انكما لاتعرفان من التربية شيأ فخليا مكانكما » فلم يكن الا ان خلياه بمقاومة ضعيفة وجعل هو يحسن العناية بشأن ادعيائه وسمة التكدر والغضب بادية على وجهه . فنبهت فكرى هذه السيرة الشريفة الى [illegible] وهو سبب شقائه بزوجته وهو ان صفة الابوة فيه غالبة على صفة الزوجية

« اميل » كما لا يعزب عن فكرك يجهل كل هذه الاعتبارات المختلفة التى لاحظتها فى معيشة الطيور وبودّى انه لا يفهم كل ما فيها وانما الذى اعجب به هو ما استقر بينه وبين معظم سكان بيت الدجاج من الالفة والارتباط . هذا واننا كثيراً ما تساءلنا عن السبب فى ان تأنيس الحيوانات كاد ينقطع من عهد ان وجدت المجتمعات المدنية . لا شك فى ان علة ذلك ليست هى اعواز الحيوانات المتوحشة فان فى الصحراء كثيراً من

(١) منيلاس هو ابن اتريه واخو آغا ممنون صار ملكاً لاسبارطة بتزوجه بهيلانة بنت بنداد وباريس هو ابن بريام وعقيبه وكان السبب فى انتشاب حرب تروادة الشهيرة بخطفه هيلانة زوجة منيلاس ملك اسبارطة وقتل فى هذه الحرب اشيل وقتل هو ايضاً بسيف پيروس

انواعها النافعة التي يكون من فائدتنا الظفر بها لو زال المانع من ذلك فاذا كان الامر كما اقول الا يكون السبب في وشك انقطاع التأنيس هو كون الانسان في عصرنا الحاضر لم يبق فيه من سذاجة الفطرة ما يكفي لثقة الحيوانات المتوحشة به وان صفات الطفولية هي اللازمة لذلك

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

﴿ قسم الاحاديث الموضوعة ﴾

(العلم والعلماء)

من الجلي الظاهر ان وضاع الحديث من صنف العلماء وقد وضعوا احاديث كثيرة لتعظيم شأن انفسهم ليعظمهم الناس ويعتقدون تفوقهم واستعلاءهم ثم استنبطوا فروعاً فقهية في هذا التعظيم لانفسهم انتهى بهم الغلو فيها الى ان حكموا بالكفر على من يهين احداً من العلماء حتى قال بعضهم من قال لبابوج العالم بوبيج كفر اي من صغر الحذاء المضاف اليه في اللفظ يكفر حتى كأنه اشرك بالله واعتقد ان لاحد غيره سلطة غيبية يضر بها وينفع ويتصرف في الاكوان فيما وراء الاسباب بل كثيراً ما يتساهل المتساهلون في جزئيات من مثل هذا ويروجونها بالتأويل ولا يتساهلون فيما يمس اشخاصهم او منافعهم ولا اعني بهذه المقدمة ان اهانة العلماء جائزة حاشا لله أن اجيز اهانة من دونهم ولكنني انكر على الغالين

الذين جعلوا دين الله آلة لمنافعهم حتى كذبوا على رسوله صلى الله عليه وسلم مع علمهم جميعاً بأنه قال « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » دون من اظهروا الحق

فمن الاحاديث الموضوعة فى العلم والعلماء حديث : اذا كان يوم القيامة وضعت منابر من ذهب عليها قباب من فضة مفضضة بالدر والياقوت والزمرد مكللة بالديباج والسندس والاستبرق ثم ينادى منادى الرحمن اين من حمل الى امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم علماً يحمله اليهم يريد به وجه الله اجلسوا عليها ثم ادخلوا الجنة . رواه الدارقطنى عن ابن عمر مرفوعا وفى اسناده كذابون .

ومنها حديث : خير الناس المعلمون كلما خلق (مثلث اللام ومعناه بلي) جددوه اعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لوالديه وبراءة للمعلم من النار . وهو موضوع . ومنها حديث اللهم اغفر للمعلمين وأطل اعمارهم وبارك لهم فى كسبهم رواه الخطيب عن ابن عباس وهو موضوع . ومنها حديث : اللهم اغفر للمعلمين لا يذهب القرآن واعز العلماء لا يذهب الدين . وهو موضوع .

ومنها حديث : من علم عبداً آية من الكتاب فهو له عبد . قال الحافظ ابن تيمية هو موضوع وقد رواه الطبرانى . ومنها حديث : الانبياء قادة والفقهاء سادة ومجالستهم زيادة . قال الصغانى موضوع . وتقول انه زاد فى مدح الفقهاء على مدح الانبياء وظاهره ان الواضع يريد المشتغلين بعلم الاحكام الظاهرة ولم يكن يسمى هذا فقهاً فى العصر الاول كما انه لم يكن

يومئذ فى المسلمين صنف يتفقهون بالفقهاء . ومنها حديث : سأل النبي صلى الله عليه وسلم سائل عن علم الباطن ماهو فقال سألت جبريل عنه فقال يقول الله هو بيني وبين احبائي واوليائي واصفيائي اودعه في قلوبهم لا يطلع عليه احد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . ذكره في الذيل عن حذيفة مرفوعاً . قال الحافظ ابن حجر هو موضوع . ونقول ان فيه من الضلالة ان الله يهب لهؤلاء الاولياء المعارف التي لا يهبها للانبياء والملائكة على الاطلاق والظاهر ان واضعه من مشايخ الطريق الدجالين . ومنها حديث : من خرج فى طلب العلم حفته الملائكة باجنحتها وصلت عليه الطير فى السماء والحيتان فى البحار ونزل فى السماء منازل سبعين من الشهداء . قالوا فى اسناده كذاب ومنها حديث : من تعلم باباً من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبياً . قالوا فى اسناده متروك . وقول قائل الله امثال هذا الواضع فانهم لم يزاحموا الا الانبياء عليهم السلام . ومنها حديث : ان اهل الجنة ليحتاجون الى العلماء الخ ماهو مذكور فى الاحياء وغيره قال الحافظ الذهبي فى الميزان انه موضوع . ومنها حديث : طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوماً خير من عبادة ثلاثة اشهر . فى اسناده كذاب وكأنه اراد ان يتعذر عن عدم عبادته . ومنها حديث : اذا جلس المتعلم بين يدى المعلم فتح الله عليه سبعين باباً من الرحمة الخ وهو موضوع . ومنها حديث : من زار العلماء فقد زارني ومن صافح العلماء فقد صافحني ومن جالس العلماء ، فكأنما جالسني ومن جالسني فى الدنيا أجلس الىّ يوم القيامة فى اسناده كذاب .

ومنها حديث : الشيخ فى قومه كالنبي فى امته . جزم ابن حجر وغيره

بأنه موضوع . ومنها الحديث المشهور الذي يعلقه كثير من العلماء فوق رؤسهم بالخط العريض تنبيهاً الناس على علو مقامهم وهو : علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل . قال ابن حجر والزركشي لا أصل له . (للمباحثة)

﴿ مسيح الهند ﴾

ما أكثر الذين استخدموا اعتقاد الناس بأن رجلا يسمى « المهدى » او يلقب بالمهدى يظهر لإعادة الاسلام الى شبابه فظهروا يدعي كل واحد منهم انه ذلك المنتظر وكان ما كان من ظهورهم من الفتن والبلاء على الاسلام . لانهم لم يحسنوا ذلك الاستخدام بأن يقوموا به على طريقة يقبلها الخاص والعام . ويسيروا به في سنن الكون التي لا يقوى على معارضتها الحكام . وإما الحلم بالاعتقاد بظهور المسيح فلم يفتن به المسلمون هذه الفتنة . ولم يمتحنوا فيه من قبل بمثل هذه المحنة . وذلك لاسباب منها ان ظهوره لا بد وان يكون مسبوقاً عندهم بظهور المهدى حتى قام في هذا العصر من ادعى هذه الدعوى كما تقدم في مقالة (الدعوة حياة الاديان) وذكرنا ثم ان رجلا آخر في الهند يدعي انه « المهدى » وألمعنا الى بعض ما بلغنا من خبره ومن عنايته بالدعوة الى الاسلام ثم ارسل الينا صديق فاضل بعض كتبه من الهند فاذا به يدعي فيها انه هو « المسيح عيسى بن مريم » بعينه وان اتباعه ينشرون دعوته في الحجاز وغيرها . ويذكر ان بعض اتباعه ألف رسالة في تأييد دعوته سماها (إيقاظ الناس) وهو الشيخ محمد سعيد النشار الحميداني الطرابلسي الشامي وانا نعرف هذا الشاب ونعرف انه كان ذهب هائماً الى الهند قبل

الدخول فى سن العسكرية ثم شاع عنه فى طرابلس انه تشيع او دخل فى مذهب جديد

نذكر نبذاً من رسالة هذا المسيح المعروف فى الهند بالقاديانى المسماة (حمامة البشرى الى اهل مكة وصلحاء أم القرى) قال يخاطب تلميذاً له فيها بعد كلام يذكر فيه بعض خواص اتباعه ويشكو من عمال السلطان الذين يفتشون الكتب فى الطريق ويقرأونها «ويحرقونها بأدنى ظن» لانهم تركوه فى حيرة لا يهتدى الى طريقة امينة يوسل فيها الرسائل الى مكة — قال ما نصه :

« وان بعض علمآء هذه الديار لا زالوا يظنون بى الغوائل ويريدون »
« بى السوء ويتربصون بى الدوائر ويطلبون لى العثرات ويكتبون فتاوى »
« التكفيرات . وكنت أقول فى نفسى يا ربى فاطر السموات والارض »
« عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون .
« فألهمنى ربى مبشراً بفضل من عنده وقال انك من المنصورين . وقال »
« يا احمد بارك الله فيك : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى — لتنذر »
« قوماً ما أنذر آباؤهم — ولتستبين سبيل المجرمين . وقال : قل انى »
« افتريته فعلىّ إجرامى — هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق »
« ليظهره على الدين كله — لا مبدل لكلمات الله — انا كفيناك المستهزئين .
« وقال : انت على بينة من ربك رحمة من عنده وما انت بفضله من »
« مجانين . ويخوفونك من دونه انك باعيننا سميتك المتوكل يحمدك الله »
« من عرشه . ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى — ويمكرون ويمكر »
« الله والله خير الماكرين — فأدخل سبحانه فى لفظ اليهود معشر علمآء

« الاسلام الذين تشابه الامر عليهم كاليهود وتشابهت القلوب والعادات »
« والجذبات والكلمات من نوع المكائد والبهتانات والافتراآت وان تلك »
« العلمآء قد اثبتوا هذا التشابه على النظارة باقوالهم واعمالهم وانصرافهم »
« واعتسافهم وفرارهم من ديانة الاسلام ووصية خير الانام صلى الله »
« عليه وسلم وكونهم من المسرفين المادين »

« وكنت اظن بعد هذه التسمية ان (المسيح الموعود) خارج »
« وما كنت اظن انه انا حتى ظهر السر المخفي الذى اخفاه الله عن كثير »
« من عباده ابتلآء من عنده وسماني ربي (عيسى بن مريم) في الهام من »
« عنده وقال : يا عيسى انى متوفيك ورافعك الىّ ومطهرك من الذين »
« كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة — انا »
« جعلناك عيسى بن مريم وانت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق وانت مني »
« بمنزلة توحيدي وتفريدي وانك اليوم لدينا مكين امين »

« فهذا هو الدعوى الذى يجادلني قومي فيه ويحسبونني من »
« المرتدّين — وتكلموا جهاراً وما رجوا لملهم الحق وقاراً وقالوا انه كافر »
« كذاب دجال وكادوا يقتلونني لولا خوف سيف الحكام وحثوا كل صغير »
« وكبير على ايذائي وايذآء اصدقائي والله يعلم تطاول المعتدين . وبعزة الله »
« وجلاله انى مؤمن مسلم واومن بالله وكتبه ورسله وملائكته والبعث »
« بعد الموت وبأن رسولنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم افضل الرسل »
« وخاتم النبيين . وان هؤلآء قد افتروا عليّ وقالوا ان هذا الرجل يدعي »
« انه نبي ويقول في شأن عيسى بن مريم كلمات الاستخفاف ويقول انه »
« توفي ودفن في ارض الشام ولا يؤمن بمعجزاته ولا يؤمن بانه خالق »

« الطيور ويحيي الاموات وعالم الغيب وحي قائم الى الآن في السماء ولا يؤمن »
« بان الله قد خصه وامه بالمعصومية التامة من مس الشيطان ومن كل ماهو »
« من لوازم اللمس ولا يقر بانهما مخصوصان متفردان في العصمة المذكورة »
« لاشريك لهما فيها احد من الرسل والنبيين . ويقولون ان هذا الرجل »
« لايؤمن بالملائكة ونزولهم وصعودهم ويحسب الشمس والقمر والنجوم »
« اجسام الملائكة ولا يعتقد بان محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء »
« ومنتهى المرسلين لانبي بعده . فهذه كلها مفتريات وتحريفات سبحان »
« ربي ما تكلمت مثل هذا ان هو الا كذب والله يعلم انهم من الدجالين »
« وقد سقطوا على وما احاطوا معارف اقوالي وما فهموا حقائق مقالي »
« وما بلغوا معشار ماقلنا وخانوا بحرفول البيان ونحتوا البهتان ووقعوا في »
« حيص بيص وظنوا ظن السوء فويل للملك الظالمين . والله يعلم اني »
« ماقلت الا ماقال الله ولم اقل قط كلمة تخالفه وما مسها قلمي في عمري »

اه بحروفه

ثم انشأ يرد عليهم تفصيلا وسنذكر بعض ذلك فيما سيأتي ان شاء الله تعالى



« الافراط والتفريط »

السهم الذي يتجاوز الغرض كالسهم الذي لا يصل اليه فيصيبه كلاهما طائش . ومن اهل الاديان من انتهى به الغلوّ في الدين الى الخروج منه ولذلك قال الله تعالى « لا تغلو في دينكم » ومن هؤلاء الغالين من عظم رؤساء الدين من الانبياء والصلحاء تعظيم اطرآء فزعم انهم عند الله كالحجاب والوزرآء عند السلاطين يتوسلون اليه بايذآء من يغاضبهم او

يناصبهم او يقصر فى تعظيمهم ويتقع من يتحرب منهم ويتخذهم شفعاء او نصراء مع ان الثابت فى اصول العقائد ان افعال الله تعالى انما تكون بارادته وارادته انما تكون بحسب علمه وان علمه قديم متعلق فى الازل بكل ما يفعله الله تعالى فى الابد

وهذا الغلو انما يكون على أشده فى العامة الجهلاء الاميين لاسيما اهل البادية ومن فى معناهم من اهل القرى الصغيرة . ثم ان هؤلاء انما اخذوا الدين على ظواهره بالتقليد فاذا اقتضت الاحوال ان يقلدوا بترك الدين يغلون فى التقليد الثانى كما غلوا فى الاول فيكونون فى كل حال من الاحوال اشد الناس كفراً او ضلالاً وهذا هو معنى قوله تعالى « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » واما اهل المدن و[illegible] اقرب الى الاعتدال وابعد عن الغلو فى ضلالهم [illegible]

يفتتن اهل الثروة فى الارياف بتقليد المترفين من المفتونين بالمدنية الغربية من اهل المدن فيسبقونهم فى كل مفسدة ، ومن ذلك ان أحد هؤلاء الاغنياء ، حاول الزام ولده بأن لا يصوم فى رمضان فلم يطعه فجاء يشكوه الى ناظر مدرسته فى مصر ويستعين به على الزامه بالافطار متوهماً انه يعظم بذلك فى عين الناظر ولكنه صغر وتضاءل واهين . ومنهم من جلس امام (بار) فى رمضان وطلب قدحاً من الكنياك فسأله مسيحى فى البار عن دينه فقال مسلم فأهانه وشتمه وطرده . وقلما تجد متملاً حضرياً بهذا التهتك .

حال التوسع فى الادبيات دون القسم العلمى وباب التاريخ وموعدنا الاجزاء التالية